الذلّ اذا لم يُرد لها خيرًا

ويؤيد املهم نموّ عدد السكّان في حلب في هذه السنوات المتصرمة. وقد وجدنا في تقويمها (السالنامة) الاخير انّ عدد اهلها يبلغ ١٠٨,٠٨٦ منهم ٧٦,١٢٨ مسلمًا و ٨٠٤٢ رومًا كاثوليكيًا و ٣٩٧٦ ارمنيًا كاثوليكيًا و ٢٦١٧ سريانيًا و ١٩٩٥ مارونيًا و ٣٥٣ لاتينيًا و ١٦٢ كلدانيًا والباقي يهود وبروتستان واجانب

تسريح الابصار

في ما يحتوي لبنان من الآثار

للاب هنري لامنس اليسوعي (تابع لما سبق)

٤ تابع دير القلعة

بيّنا في ما سبق انّ الاله المعبود في دير القلعة كان اسمهُ بعل مرقد. فلمّا استولى الرومان على الشام أدرجوا هذا الاله الفينيقي في مصفّ آلهتهم بل اعتبروهُ كأنّهُ هو معبودهم الكبير «المشتري» لا يفرقهُ عنهُ الّا اسمهُ فشيّدوا لهُ ذلك الهيكل العظيم الذي حجّهُ السوريّون والرومان معًا. والكتابات اللاتينيّة التي فيها ذكر «المشتري بعل مرقد» كثيرة. وكان اهل بيروت المدعوّة في ذلك العصر «المستعمرة جوليا اوغستا السعيدة» يقيمون فيهِ انصابًا للملوك رومة من جملة ذلك نصبُ للقيصر ادريانُس استُخرج محطّمًا من تحت الرّدم منذ سنة بتّف قليل اسعدنا الحظّ على قراءة مضمونها كما يأتي (١ :

[Imp.]CAESARI DIVI	[للامبراطور] القيصر الالهيّ
[Tr]AIANI PARTHICI FIL(io)	وابن [طر]ايانس الفرطي الالهيّ
DIVI NERV(æ nepoti)	ونسيب نِرْفا
TRAIANO HADRIANO AV(gusto)	لطرايانس ادريانس اوغستس
PONTIFI(ci) MAX(imo) TRIB(unitia)	الحبر الاعظم بسلطة مثلي الشعب
POT(estate) - COS III P(ater) P(atriæ)	قنصل للمرّة الثالثة اب الوطن
COL(onia) IVL(ia) AVG(usta) FEL(ix)	المستعمرة يوليا اوغستا السعيدة
B(erytus)	بيروت

١) وقد وضعنا بين معكّفين ما يُقتضى زيادتُهُ

ولمَّا عدنا الى بيروت فرحين لاكتشافنا هذا وجدنا في مجموع كتابات وادنتون (عدد ١٨٤١) في جملة آثار بيروت كتابةً تشبه كتابتنا المذكورة كلَّ الشَّبه كأنها هي الَّا في تتمَّة الالفاظ المقتصرة. فاخذنا من ذلك العجب كيف اتَّصل وادنتون وبعده دوناتي واورلي الى هذه الكتابة مع انَّها حديثة الاكتشاف كما قلنا. ولعلَّ اهل بيروت رسموا منها نسختين في وقت واحد

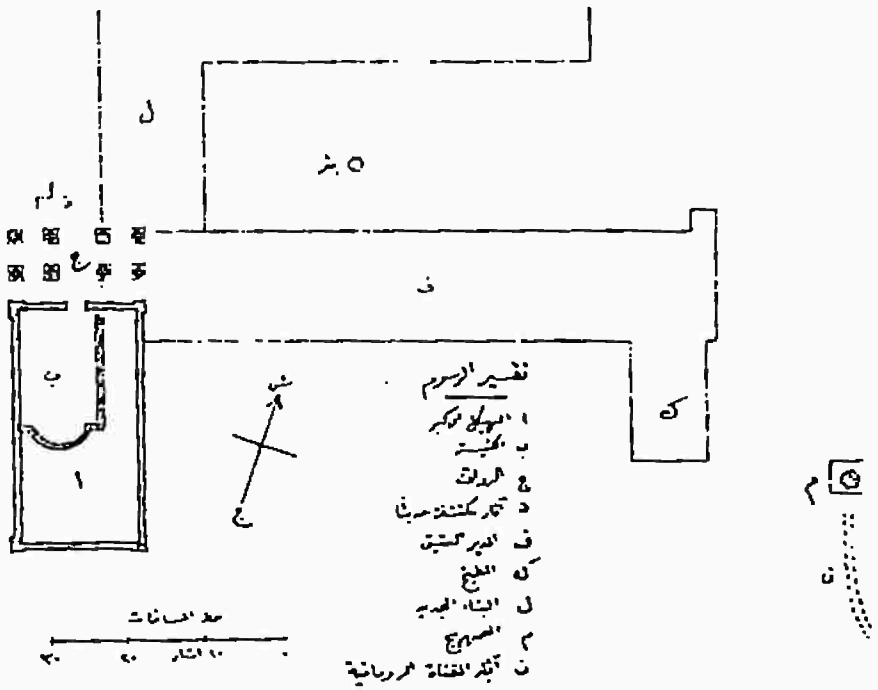

رسم هيكل البعل في دير القلعة

وكانت المرتبة الاولى في هيكل دير القلعة بعد المشتري بعل مرقد للإلهة «جونون الملكة» (١ وكانت تُعدّ زوجةً للاله وشريكتهُ في جلال عزَّتهِ. وترجع كون جونون

١) هذه ترجمة اللفظة اللاتينيَّة (regina) ويجوز ترجمتها بالبَعْلَة وقد ورد ذكر هذه الإلهة في اسفار الانبياء باسم «ملكة السماء» (ارميا ٧: ١٨ الخ). وكان للرومان في جبل ترَبيُوس هيكل باسم هذه «إلهة السماء العذراء» شامت بادئا بعد حرب رومية مع قرطجنَّة

هذه هي الالهة السامية بعلة عَشتروت وحدها الرومان بالهتهم جونون. وكان عبدتها يأتون هيكل دير القلعة يستشفعون بحمايتها ويستفتون كهنتها كما يُستدلّ على ذلك من بعض الكتابات التي نشرها كلرمون غانو (في كتابه الماديات الشرقية ص ١٠٧) وفي دير القلعة كتابات عديدة لاتينية تتضمّن تقادم ونذورًا من قبل الأهلين لهذه الالهة. من ذلك ثلاث كتابات نقشها جنديّ روماني يُدعى « غايوس يوليوس مكسيموس » نشر منها العلاّمة كلرمون غانو اثنتين (ص ١٠٧ و ١١٠) ووجدنا الثالثة في جنينة الخواجا الفنس نقّاش في بيت مري. وهي مكتوبة على حجر كُسرت قطعتين فحواها: « انّ الجندي المذكور يُبرز نذره للالهة جونون بطيب قلب »

ومن عادة القدماء انّهم كانوا يكرّمون في الهيكل الواحد عدّة آلهة. مثال ذلك انّ دير القلعة كان إلهها وسيّدها الاعظم(١ بعل مرقد ثمّ الالهة جونون كما مرّ. وترى معهما ذكر آلهة اخرى ممّا وجدنا في جنينة المسيو الفنس نقّاش قطعتين من كتابة طبع كلرمون غانو قسمها الاخير (٢ أما القسم الاوّل فاستخرج حديثًا من الاطلال لم يُنشر بعدُ بالطبع وهذه الكتابة عبارة عن تقدمة قدّمها شخص يدعى مرقس سَنتيس للمشتري اله بعلبك

وممّا نحبّ استلفات النظر اليه انّ أخربة دير القلعة كثيرة الكتابات اللاتينيّة. وهي كما لا يخفى على من له ادنى إلمام بالعتائق نادرة جدًا في ما سواها من الامكنة الشاميّة. والسبب لذلك على ما نظنّ انّ من استعمر بيروت من الجنود الرومانيين (وكان منهم في بيروت فئتان الخامسة والثامنة) اتّخذوا هذا المكان كمصيف يقضون فيه فصل القيظ كالمثرين من اهل زماننا فتركوا ثمّت آثارًا جمّة تنبئ بسكناهم وتعبّدهم لبعل مرقد. ولو حاولنا سَرْد هذه الآثار لطالت بنا المقالة طولًا مفرطًا واكثرها عبارة عن أعلام ليس في ذكرها كبير امر لقرائنا. وترى بين هذه الاسماء ما خلا

وكان اهل قرطجنّة يعتبرونها كإلهتهم العظمى. والرومان جعلوا عشتروت هذه وجونون الهةً واحدة عبدوا الاولى بصورة الثانية (راجع مجلّة Acad. des Inscrip., Comptes-rendus 1898, p 475)

١) ونظنّ ان اسم القرية اشتُقّ من عبادة هذا الاله فدعيت لذلك « بيت مري » من السريانيّة ܒܝܬ ܡܪܝ اي بيت السيّد (البعل)

٢) في كتاب ماديّاته الشرقيّة السابق ذكرهُ

الجند قومًا من اهل الحرف والصناعات ولا يخلو منها اسماء بعض الاشراف من اعيان الرومان في ذلك العصر

وغاية ما يمكننا قولهُ انهُ كان في جوار هيكل البعل عدَّة منازل لسدنة هذا المعبد وكهنتهِ ثمَّ للجُند الرومان واهل الثروة ولبعض العَمَلة. ولا نرانا نتجاوز الحقيقة لو قلنا انَّهُ كان حول دير القلعة قرية. يستدلُّ على ذلك بوجود معاصر قديمة وتواويس ضخمة منحوتة في الصخر. وكلُّ ذلك يشهد بان الناس جعلوا سكناهم في تلك الهضاب. امَّا بيت مري فلم نسمع انَّ احدًا وجد فيها شيئًا من الآثار القديمة مع ان البناء فيها متواصل والحفر في الارض كثير

فممَّا تقدَّم يسوغ لنا ان نستعيد بالفكر ونحيي بنظر الفهم حالة دير القلعة في القرن الثاني والثالث للمسيح فنقول انَّ تلك الرُّبى كانت تكلِّل هامَها غاباتٌ وارفة الظلّ وكانت على منعطف ذلك الجبل اشجار باسقة الاغصان تحجب اشعَّة الشمس المتَّقدة وترطب بفيئها ذلك المقام النَّزه وكان الصنوبر يغلب عليها وقد بقي منهُ بعض البقايا

وكان لا بُدَّ لهذه الغابات مياه غزيرة تروي تُربتها وتنمي جذورها كما انَّ المياه كانت ضروريَّة لخدَمة الهيكل واهل القرية وللمئين من الحجَّاج والزوَّار ولغسل الذبائح. فسدًّا لهذه الحاجة الماسَّة استجلب القدماء المياه من العيون المجاورة. لاسيما من عين عَرْعر وراء بعبدات اصطنعوا لذلك قناةً محكمةً لا تزال بقاياها ظاهرةً الى يومنا هذا. وكان في ساحة الهيكل احواض واسعة تجري فيها المياه وتنفور الفوَّارات على هيئات بديعة تروق النظر. ويشهد على ذلك كتابة يونانيَّة ورد فيها وصف انبوب قُدِّم للهيكل مصطنع في جزيرة رودس ليُجعل فوَّارة للماء (١

ففي وسط هذه البقعة الجميلة المنظر كان هيكلان عظيمان احدهما للبعل والآخر لجوتون او عشتروت. وكان للاوَّل رواق رحب الفناء يسندهُ ثمانية اعمدة ضخمة من الرخام البلدي (٢ وكان يصعد الى هذا الرواق بدرج يوازيهِ حُسنًا وسعةً كما اعتاد ذلك

---

١) راجع مجلَّة الاديبات سنة ١٨٤٦ ص ٨٠. وكان اهل رودس يرسلون الى بيروت طُرفًا من صناعتهم لتباع فيها (راجع Comptes-rendus de l'Acad. Inscrip 1898, 522)

٢) وقد زعم رينان (Mission de Phénicie, p. 353) ان هذا الرخام هو الرخام المصريّ المحبَّب والصواب ما قلنا. وللمسيو رينان في وصف دير القلعة اغلاط لا يسعنا شرحها

الرومانُ في ابنيتهم. امّا هيكل جوفون فقد عبثت به يد الحدثان حتّى يصعب على علماء العاديّات بيان رسمه وصورته بل وموقعه ايضاً

وكان هيكل البعل في داخله مزيّنًا بتمثال الإله نُصب في كوّة على جانبيها العَمد من الرُخام بشبه المظلّة. وقد ورد في كتابات دير القلعة ذكر تماثيل أخر ودُمى لا نعلم أكانت في داخل البناء او في الرواق (١

امّا طريقة هندسة الهيكل فان تعيينها ليس بسهل فانك ترى بين البقايا والاخربة ما يُشعر بالهندسة الكورنثيّة والايونيّة معاً كما ترى في الاشكال المختلفة الممثلة لبعض أعمدة قد رسم نقوش أكلّتها حضرة الاب رتزقال وكان رافقني في هذه الرحلة ودقّق البحث عن آثار دير القلعة الّا انّهُ بقي مرتاباً في بيان صورة هندام الهيكل القديم. وانّما قدّر بعد فحص الاخربة الباقية الى يومنا هذا انّ علوّ البناء كان يبلغ ٢٥ متراً. وذلك بلا مراء دليل على عظم هذا المعبد وجليل قدره

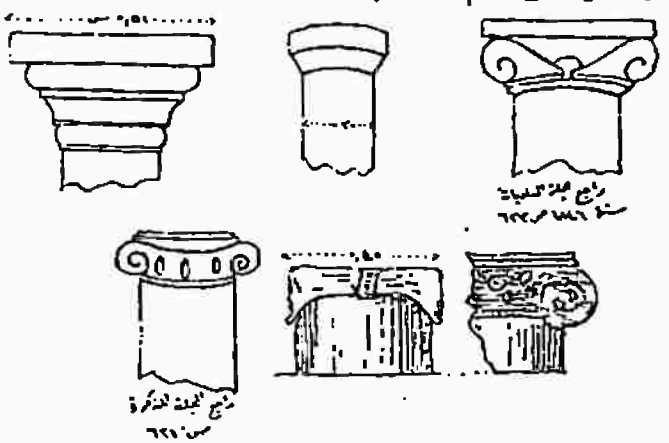

بقايا اعمدة دير القلعة واشكالها المختلفة

وكانت الاشجار تحيط بافنائها حول هذه البنايات بينما كانت الوف من الطيور تصدح فوق رؤوسها وتغرّد طربةً ومن جملتها الحمام البيض رمز الإلهة عشتاروت كانت تحلق في الهواء ثم تحطّ في اوكارها ساجعةً. وفي وسط الاشجار كانت تماثيل عديدة منتصبةً على دكك مرتفعة وهي تمثل اصناماً وأبطالاً وبينها مذابح للضحايا والمحرقات

١) راجع رادستون صفحة ١٨٦٠ و ١٨٦٣

ثمَّ اهرام صغار ومنها حجارة مخروطة الشكل يعلوها شبه رأس ويتَّصل بها شبهُ ذراعين قد اختلف العلماء في شرح معناها

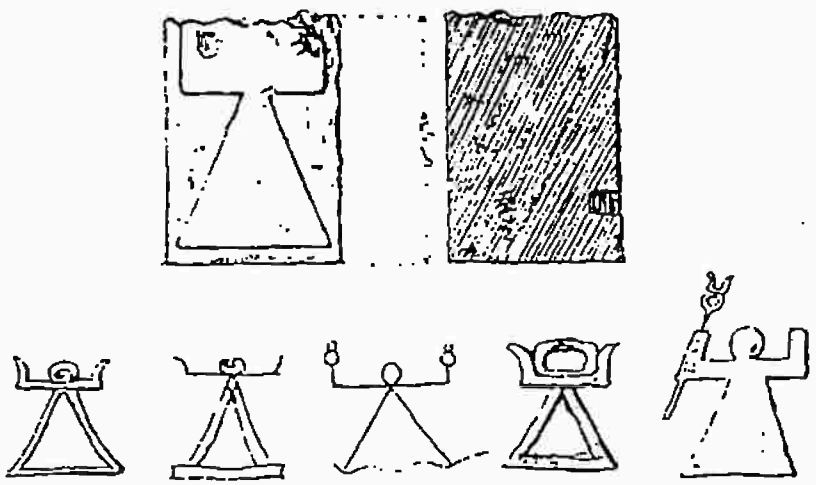

صور المخروطات ومز عشتروت

والمرجَّح انَّها صورة « تانيت » معبودة اهل قرطجنة وهي عَشتروت نفسها وقد يراد بها ايضاً صورة بعل أمُّون او اله الشمس من آلهة القرطجنيين ايضاً. وقد بقي من هذه المخروطات آثار في دير القلعة الى يومنا هذا واحداها تُرى امام كنيسة مار سابين بين دير القلعة وبيت مري وهي التي تراها على وجهيها في أعلى الشكل السابق

تلك كانت هيئة هذا المقام الخطير في القرن الثاني والثالث بعد المسيح فاذا زدت على ذلك حركة الزوَّار المتقاطرين الى هذه المعابد ترى ما كان لدير القلعة من الخطارة وعظم الشان

ولا بُدَّ لنا قبل الختام ان نذكر شيئاً عن المدافن التي كانت بقرب دير القلعة فانَّهُ قد وُجدت قبور كثيرة في شرقيّ الدير الحالي على بعد ٥٠٠ متر منهُ ترى خمسة نواويس غليظة العمل واذا انحدرتَ قليلاً وجدت عشرين تابوتاً بقي منها اغطيتها على شكل جَمَلون فوقهُ قواعد تُدعى (acrotères). واذا تزلت الى الجهة الجنوبيَّة بميلٍ الى الشرق بلغت الى منارة يدعوها الفلاَّحون « منارة الحبس » وهو غور طبيعيّ في الصخر عند حضيضهِ ليس بمتَّسع الَّا انَّهُ كافٍ لمدفن ثمانية اشخاص

امّا العبادة الجارية في هذا الهيكل فلا نعلم من امرها شيئاً ولا نخالها كانت تختلف عن عبادة الفينيقيين المكروهة يغلب عليها الخلاعة والدعارة. وليس بمستبعد انّهُ قدّمت هناك الضحايا البشريّة من الاطفال للبَعل كما جرى ذلك في غيرهِ من المعابد الشرقيّة وشهدت عن صحتهِ التواريخ الراهنة. ولعلّ هذه الموائد المبنية بسوء دين اهل ذلك العصر هي التي حملت ملوك الروم المتنصّرين على هدم هذا الهيكل كما فعل قسطنطين بهيكل أفقة لما تقرّر عن كهنتهِ الوثنيين من الاعمال الفاحشة فلم يجد سبيلاً الى قطع دابر هذه المنكرات الّا بهدم المعبد المذكور

أخبار علمية

للاب لويس شيخو اليسوعي

قبر رومُلس أنبأنا البريد الاخير باكتشاف مُهمّ صار في رومية العُظمى. وذلك انّ العَمَلة كانوا يحفرون في موقع ساحة البلد المعروفة عند قدماء الرومان بساحة الفُورم (forum) التي فيها كانت تُعقَد حفلاتُهم العموميّة فعثروا على ضريح قديم ذهب علماء العاديّات الى انّهُ هو ضريح رُوملس مُنشئ رومية في القرن الثامن قبل المسيح. وكان هذا القبر مزاراً للرومان يكرمونهُ في الساحة الكبرى من عاصمتهم وبقي على ذلك الى ان خربت المدينة في آخر الدولة الرومانيّة لمّا سطا عليها شعوب البرابرة. فاذا زالت الشُبهة عن هذا الاكتشاف عُدَّ هذا الأثر كاقدم العاديّات الرومانيّة واعظمها شأناً

تمثال من عمل ميكال أنج وُجدت في محيط دُمية بديعة الصنعة تمثّل النصف الاعلى من جسد السيّد المسيح عيناهُ من اللازورد الكريم الثمن يُرجّح انّهُ لميكال أنج وقيل لدوناتلّو الفلورنسي وكلاهما من مشاهير النقّاشين باعهُ من مكتشفهِ سفيرُ روسيّة في اسبانية بمبلغ فاحش

كتاب خطّ لغاليلاي ذكرت مجلّة « بنّاريون » انّ